شبهة الحرب الدينية

لكن . .

وعلى الرغم من هذا الوضوح، وذلك الحسم اللذين يتحلى بهما موقف الإسلام من هذه القضية: «طبيعة الحرب والجهاد فى الإسلام» . . فإن جمهوراً من العامة يظنون أن المسلمين مطالبون، دينيّا بمقاتلة مخالفيهم فى الدين حتى يؤمنوا بالإسلام، ويكون الدين كله لله . . ومع جمهور العامة، هؤلاء يقف نفر من مثقفى الإسلام ومفكريه! . . الأمر الذى يجعلنا أمام «شبهة»، للحرب الدينية، عالقة بسماء الفكر فى عالم الإسلام، لابد من تبديد سحابتها، طلبًا لصفاء تلك السماء من الغيوم، ووصولاً إلى تبرئة فكرنا الإسلامى من مثل تلك «الشبهات»! . .

حقًا . . يأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين بالقتال حتى يكون الدين لله، فيقول:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

لكن لننظر إلى السياق الذى جاءت هذه الآية الكريمة فى ختامه، ولنبحث عن سبب نزولها . . وعن «الفعل» و«التطبيق» الذى نهض به الرسول ﷺ والمؤمنون تنفيذاً لهذا الأمر الإلهى بالقتال حتى يكون الدين لله . . لننظر فى ذلك ونبحث حتى يستبين لنا الحق فى هذا الموضوع . .

* إن سياق هذه الآية القرآنية يقول :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠ ـ ١٩٣].

فالمطلوب هنا ليس قتال «المخالفين» لنا فى الدين، وإنما قتال «الذين يقاتلون» بين هؤلاء «المخالفين»، فحكمة القتال وسببه هو «قتال» هؤلاء المخالفين لنا، «لعدوانهم» علينا، وليس لمجرد «الخلاف لنا فى الدين»! . . ذلك أن الإسلام لا ينهى ـ فقط ـ عن مقاتلة المخالفين لمجرد الاختلاف الدينى معهم، بل إنه يدعو إلى مودتهم والقسط إليهم طالما هم لم يقاتلونا فى الدين! . . فإن هم قاتلونا، واعتدوا علينا، وانتهكوا الحرمات، وجب علينا قتالهم، واستحلال الحرمات التى استحلوا، حتى

ولو كانت الأشهر الحرم والمسجد الحرام . . فذلك جزاء من يصنع ذلك من الكافرين ! . .

* ثم . . ! إن هذه الآيات قد نزلت فى السنة السابعة من الهجرة ، عندما هم المسلمون أن يدخلوا مكة معتمرين «عمرة القضاء» ، تلك التى اتفقوا عليها فى العام الماضى ـ عام الحديبية ـ مع مشركى مكة . . وكان الاتفاق أن يدخل المسلمون مكة معتمرين ، لا يحملون من السلاح إلا ما يحمله المسافر «السيوف فى القرب» ـ (الأغماد) ! . . ويومها خشى المسلمون غدر المشركين ، وتوجسوا خيفة من أن يأخذهم المشركون على غرة ، وهم بسلاح المسافر ، الذى لا يغنى فى القتال ، وهم فى الشهر الحرام ـ ذى القعدة ـ والبيت الحرام ، حيث لا تحل الحرب ولا يجوز أن تسفك الدماء ! . .

وأمام مخاوف المسلمين هذه احتاط الرسول ﷺ فجهز السلاح والدروع والرماح ، وأعد مائة فرس ، جعل عليها محمد بن مسلمة ، رضي الله عنه ، وجعل على السلاح بشير بن سعد رضي الله عنه ، فأقاموا بعدة القتال هذه على مقربة من الحرم . . وقال الرسول ﷺ : **«يكون قريبًا منا ، فإن هاجنا هيج ـ (دهمتنا حرب) ـ من القوم كان السلاح قريبًا منا !»**[1] .

وأمام تحرج المسلمين من أن يضطروا إلى مقارفة المحظور : القتال فى الشهر الحرام بالمسجد الحرام . . نزلت الآيات الكريمة تأمرهم بالقتال فى

(١) (الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى) جـ ٤ ص ٣١٩ .

الشهر الحرام والمسجد الحرام، إذا بدأهم المشركون بالقتال وحدث منهم العدوان. . ذلك أن مراد المشركين هو «فتنة» المؤمنين عن دينهم، وهى أشد من القتل وأعظم! . . فالقتال هنا لرد العدوان، وحتى ينتهى المشركون عن عدوانهم، وتمتنع فتنتهم، فيكون الدين والتدين لله، لا للقهر والقسر الذى يفرضه المشركون، بالفتنة والعذاب، على المستضعفين من المؤمنين! . . وبعد أن نزلت هذه الآيات، دخل المسلمون مكة معتمرين، ولم يقع من المشركين عدوان، ومن ثم لم يحدث من المسلمين قتال. .

ذلك هو سياق الآيات. . وهذه هى أسباب نزولها. . وعموم حكمها مرتبط بمواجهة العدوان، وعدوان «المشركين» خاصة. . الأمر الذى يمنع من أن تكون تلك الآيات دليلاً على مشروعية الحرب الدينية فى الإسلام! . .

أما الحديث الذى يرويه أبو هريرة، رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ، والذى يقول فيه: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى. .**»[1].

أما هذا الحديث، والذى يبدو، للعامة وانصاف المثقفين ثقافة إسلامية، من ظاهر ألفاظه، أنه يدعو إلى مقاتلة المخالفين فى الدين حتى

(١) رواه: البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وأبو داود، وابن ماجة، والدارمى، وابن حنبل.

يثوبوا إلى عقيدة التوحيد . . فإن الفقه الحق لمعناه يتطلب ما هو أكثر من النظر العابر لظاهر الألفاظ . .

* فالمراد «بالناس» الذين أمر الرسول ﷺ بقتالهم: «المشركون» من العرب، أولئك الذين كانوا يمنعون ـ بالفتنة والعدوان ـ دعوة الإسلام من أن تتخذ لنفسها القاعدة الآمنة التى ينطلق منها الدعاة، فلا بد لكل دين من دار تعرف تعاليمه فيها طريقها إلى الممارسة والتطبيق، ويتخذ منها دعاته وطنًا يضمن لهم الأمن فى ممارسة شعائره والحرية فى التبشير بعقائده . . وعندما سلك «الناس» ـ «العرب المشركون» ـ طريق الفتنة والعدوان للحيلولة بين الإسلام وبين أن تكون له قاعدته هذه ووطنه هذا، أمر الرسول ﷺ، بقتالهم حتى لا يكون بأرض العرب دينان . . فلما خلصت أرض العرب للإسلام، فتح الإسلام صدره، خارج تلك الأرض، ضامنًا الحرية الدينية لغير المسلمين! . .

ويشهد لأن المراد «بالناس»، فى هذا الحديث، هم «مشركو العرب» خاصة، أن لفظ الحديث قد ورد فى بعض الروايات واضعًا لفظ «المشركين» بدلاً من لفظ «الناس» تارة، وواضعًا لفظ «العرب» بدلاً من لفظ «الناس» تارة أخرى! . .

* بل إن إحدى الصور التى روى عليها هذا الحديث تشير إلى أن المقام لم يكن أبدًا مقام إكراه فى الدين، ولا جبر ـ بالقتال ـ على أن يقول الناس: «لا إله إلا الله» . . إذ تشير تلك الرواية إلى أن الرسول ﷺ، قد ختم هذا الحديث بأن «قرأ:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾

[الغاشية: ٢١ ـ ٢٢].

فمنطوق الآية، التى ختم الرسول ﷺ بها الحديث، ومفهومها يقطع ببراءة الإسلام من اتخاذ القتال أداة للإيمان بالتوحيد!..

* ثم.. ألا يقطع موقف الرسول ﷺ، من مشركى قريش يوم فتح مكة أى شك باليقين؟.. لقد قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.. ولم يتعقب بالقتل أولئك الذين كانوا يبكون لزوال الأصنام وتحطيمها.. وإنما ترك قلوبهم لتقتنع بالتوحيد بواسطة الإقناع والاقتناع.. فهو مذكر.. وليس بالمصيطر.. ولا إكراه فى الدين!..

* * *

ومع كل هذا الوضوح.. ورغم تهافت الشبهات فى هذا المقام.. فإن بعضًا من مثقفى الإسلام ومفكريه يزعمون أن «النهج الانقلابى» للإسلام يطلب من حزبه ألا يكتفى بالحرب الدفاعية التى تقف عند حماية الدعوة وتأمين الدعاة، فيقول: إن حرب الإسلام هجومية أيضًا: لا ضد المخالفين فى الدين حتى يعتنقوا عقائده، وإنما ضد كل حكومات المعمورة وجيوشها، التى تزيد على المائة والخمسين، وذلك حتى يرتفع سلطان هذه الحكومات عن شعوبها، فتتحقق لهذه الشعوب الحرية فى التدين بالإسلام أو عدم التدين به.. فلا بد من محاربة حكومات المعمورة، وهزيمة جيوشها، وأخذ الجزية من شعوبها ضمانًا لفتح الطريق أمام دعوة الإسلام ودعاته ببلاد تلك الحكومات!..

أما نصوص هؤلاء المثقفين والمفكرين الإسلاميين، حول هذه الدعوة، فإنها تقول: «.. إن الإسلام فكرة انقلابية ومنهاجًا انقلابيًا يريد أن يهدم نظام العالم الاجتماعي بأسره.. ويؤسس بنيانه من جديد.. والإسلام يتطلب الأرض، ولا يقنع بقطعة أو بجزء منها، وإنما يتطلب ويستدعى المعمورة الأرضية كلها.. والجهاد الإسلامى هجومى دفاعى معًا.. والحزب الإسلامى لا يتحرج فى استخدام القوى الحربية لتحقيق غايته هذه[1].. إن المعسكرات المعادية للإسلام قد يجيء عليها زمان تؤثر فيه ألا تهاجم، إذا تركها الإسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الإقليمية. ورضى أن يدعها وشأنها ولم يمد إليها دعوته وإعلانه التحريرى العام!.. ولكن الإسلام لا يهادنها، إلا أن تعلن إسلامها لسلطانه فى صورة أداء الجزية، ضمانًا لفتح أبوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة فيها...»[2].

ونحن نقول:

إن كون الإسلام فكرة انقلابية، أى نهجًا ثوريًا، يعنى عداءه للظلم ورفضه للواقع الظالم، ودعوته أهله لإقامة العدل حيثما ارتفعت شهادة أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله.. لكن ذلك لا يعنى القول بأن الإسلام يطلب أرض المعمورة كلها؛ لأن هذه الدعوة لا تتسق إلا إذا جاز

---

(١) أبو الأعلى المودودى (الجهاد فى سبيل الله) ص ٢٣ ـ ٢٩ ـ ٥١. طبعة القاهرة ـ ضمن مجموعة ـ سنة ١٩٧٧م.

(٢) سيد قطب (معالم فى الطريق) ص ٨٧. دار الشروق سنة ١٩٨٠م.

تصور انفراد الإسلام، كدين، بهذه المعمورة كلها.. والذى جاء به القرآن الكريم، واتفق عليه مفسروه هو أن حكمة الله ومشيئته قد اقتضت التعدد فى الشرائع الدينية، الناشئ عن تعدد أمم الرسالات السماوية التوحيدية.. ففى القرآن الكريم يقول الله، سبحانه وتعالى:

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]..

والمفسرون لهذه الآية القرآنية المحكمة يقولون: إن «الشرعة والشريعة:

هى الطريقة الظاهرة التى يتوصل بها إلى النجاة.. ومعنى الآية: أن الله ـ سبحانه ـ قد جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، وهذا فى الشرائع والعبادات، والأصل: التوحيد، لا خلاف فيه. ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ أى لجعل شريعتكم واحدة ﴿ولكن ليبلوكم فيما آتاكم﴾ أى ولكن جعل شرائعكم مختلفة ليختبركم، والابتلاء: الاختبار!..»[1].

وفى آية أخرى يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩].

(١) (الجامع لأحكام القرآن) جـ٦ ص ٢١١.

وأئمة تفسير القرآن الكريم يرون هذه الآية شاهداً على أن اختلاف البشر فى الشرائع الدينية هو الحكمة التى خلقهم الله لها!..

فهى إرادته، ومن ثم فلا معنى لتصور وحدة فى الشريعة تعم البشرية وتضم أهلها، ومن ثم فلا معنى لاتخاذ السبل لتحقيق هذه الوحدة فى الشريعة.. وذلك فضلاً عن أن تكون تلك السبل عنفًا وقتالاً وجهاداً؟!..

«فسعيد بن جبير (٤٥ ـ ٩٥هـ ـ ٧١٤م) يرى أن المراد بالأمة الواحدة: «ملة الإسلام وحدها» أى شريعة الإسلام..» فكون الدين لله ـ إذن ـ لا يعنى إمكانية تحقق سيادة الشريعة الإسلامية والملة الإسلامية أبناء البشرية جميعًا!..

«ومجاهد بن جبر المكى (٢١ ـ ١٠٤هـ ٦٤٢ ـ ٧٢٢م) وقتادة بن دعامة السدوسى (٦١ ـ ١١٨هـ ٦٨٠ ـ ٧٣٦م) يفسران قول الله فى الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ بحتمية بقاء الناس على أديان ـ أى شرائع ـ شتى. والحسن البصرى (٢١ ـ ١١٠هـ ٦٤٢ ـ ٧٢٨م) وعطاء بن دينار (١٢٦ ـ ٧٤٤م) يفسرون قوله ـ سبحانه ـ ﴿ولذلك خلقهم﴾ فيرون أن «الإشارة للاختلاف، أى وللاختلاف خلقهم!»[1].

فإن كان انفراد الشريعة الإسلامية بأهل المعمورة هو مما أحاله القرآن، فهل من الفكر الإسلامى فى شىء أن نقول: إن الإسلام يطلب المعمورة كلها، ولا يقنع بقطعة أو بجزء منها؟!..

(١) (الجامع لأحكام القرآن) جـ ٩ ص ١١٤ ـ ١١٥.

وإذا سالم غير المسلمين عالم الإسلام وأهله، وأطلقوا الحرية أمام الدعوة إليه والتبشير بعقائده، فهل من الفكر الإسلامى فى شىء الحديث عن ضرورة الحرب الهجومية على حكومات المعمورة جميعها؟!..

وألا يكون الأوفق والأجدى أن نتأمل كلمات الإمام محمد عبده:

«لقد كان قتال النبى ﷺ، كله مدافعة عن الحق وأهله، وحماية لدعوة الحق..»[1].

وكلمات الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ ـ ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩م):

«لقد فرض الله الجهاد على المسلمين، لا أداة للعدوان، ولا وسيلة للمطامع الشخصية، ولكن حماية للدعوة وضمانًا للسلم وأداء للرسالة الكبرى التى حمل عبئها المسلمون.. وإن الإسلام كما فرض القتال شاد بالسلام، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[2] [الأنفال: ٦١].

* وإذا جاز لنا أن نشبه «المجتمع الدولى»، الملتزم بمواثيق المنظمات الدولية التى ارتضتها حكوماته، بمجتمع واحد ومتعاهد ومتعاقد، شأنه شأن جماعة المسلمين مع غير المسلمين فى دار الإسلام، من حيث الالتزام بعقد «الذمة» وأمانها.. فهل يصبح، أمام الفكر الإسلامى، مجال

---

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ ٤ ص ٤٩٥.

(٢) حسن البنا (رسالة الجهاد) ص ٨٥. طبعة القاهرة ـ ضمن مجموعة عنوانها «الجهاد فى سبيل الله» ـ سنة ١٩٧٧م.

لدعوى الحرب الهجومية على حكومات المعمورة وجيوشها جميعًا، بزعم لزوم هزيمة كل تلك الحكومات وجميع هذه الجيوش، وصولاً لرفع الضغط المادى عن ضمائر شعوب المعمورة حتى تنظر بحرية فى عقائد الإسلام؟!..

* ثم.. ألا يدعونا العقل أن نسأل أنفسنا: هل حربنا لتلك الحكومات وجيوشها هى مما يقربنا ويقرب إسلامنا من قلوب وعقول شعوب تلك الحكومات؟!. أم أن العكس هو الوارد والأكيد؟..

وأن تلك الشعوب ستهب مع حكوماتها وجيوشها ـ التى هي بعض منها ـ لتقف، لا ضد المسلمين فحسب، بل وضد الإسلام الذى ترتفع راياته فوق ميادين تلك الحرب الدينية؟!. إن تخيل مثل تلك الحرب أمر يدعو إلى الرثاء.. نفس الرثاء الذى يدعو إليه فكر دعاتها من مثقفى الإسلام ومفكريه؟!..

* وحتى إذا حكمنا على دول كثيرة فى الأسرة الدولية «بالنفاق» لما بين إعلانها الالتزام بالمواثيق الدولية وبين ممارستها العدوانية من فروق ومفارقات.. فإن السلوك الإسلامى تجاه «المنافقين» لا يصل، فى العنف، إلى حد الحرب والقتال.. «فالمنافقون» الذين يعتزلون قتالنا ليس لنا عليهم من سبيل، فضلاً عن سبيل العنف والحرب والقتال!.. يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى شأن المنافقين:

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ

كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٨٨ ـ ٩١].

فالذين يكفون الأيدي عن قتالنا، ويلقون حبال السلام إلى عالم الإسلام وأهله، لا سبيل لنا عليهم، أما «المنافقون» الذين لا يكفون أيديهم عن قتال المسلمين فإن «السلطان» الذى قرر الله لنا عليهم يدعونا إلى قتالهم، ردّا للعدوان، وتأمينًا لعالم الإسلام وحريات المسلمين.. «فالعدوان» أو «المسالمة» هو المعيار، وليس «النفاق» ولا «الخلاف فى الدين»!..

* ثم ليسأل كل مخلص للإسلام نفسه، وليتوجه كل غيور على المسلمين إلى ضميره بهذا السؤال:

أى الأسلحة أمضى فى نصرة الإسلام، وتزيينه فى عقول المخالفين، وتقريبه من قلوبهم. سلاح الحرب والقتال ضد حكومات البلاد المخالفة

وجيوشها ـ وهي التى ستكون بالقطع ضد شعوبها؟؟ . . ـ أم سلاح النهضة الإسلامية، المؤسسة على الوعى الناضج بحقيقة الإسلام ـ الدين والإسلام الحضارة ـ تلك التى ستحول عالم الإسلام وبلاد المسلمين إلى شاهد صدق على عظمة الإسلام وتقدميته وجدارته بأن يكون الدين الذى تدين به الإنسانية الراشدة، دون سواه؟؟ . .

إن حال المسلمين هو أكبر مطعن يوجهه الخصوم إلى هذا الدين الحنيف . . وإن تغيير هذه الحال، وتبديل ذلك الواقع، وإقامة النهضة الإسلامية الحقيقية هى «الحرب» التي لا بد لكل داعية ومفكر إسلامى من أن يستنفر المسلمين إلى خوضها . . ذلك أن تجسيد «النموذج الإسلامى» على أرض عالم الإسلام هو «الجيش» الإسلامى المؤهل «لغزو» قلوب الإنسانية المتحضرة وعقول الأحرار فى أقطار المعمورة جميعها . .

أما الحديث عن أن الإسلام يوجب على أهله قتال كل حكومات المعمورة وجيوشها فإنه أقرب إلى «هذيان الضعفاء» ينفسون به عن العجز إزاء القهر الذى يمارسه الطغاة ـ الداخليون منهم والخارجيون ـ إزاء عالم الإسلام وشعوبه . . وهو «هذيان» يسخر منه الواقع الإسلامى بإمكانياته الحالية والمحتملة، ومن ثم فلا أثر له إلا جلب العداء للمسلمين والنفور من الإسلام! . . وذلك فضلاً عن منافاة فكر دعاة هذه الحرب الدينية لفكر الإسلام الحق فى هذا الموضوع! . .

فليس فى الإسلام حرب دينية . . لأن القتال لا يمكن أن يكون سبيلاً لتحصيل التصديق القلبى واليقين الباطنى، الذى هو «الإيمان».

والقتال فى الإسلام سبيل يلجأ إليها المسلمون عند الضرورة . . ضرورة حماية الدعوة وتأمين الحرية للدعاة، وضمان الأمن لدار الإسلام وأوطان المسلمين . . سيان كان ذلك القتال «دفاعيًا تمامًا» أو «مبادأة» يجهض بها المسلمون عدوانًا أكيدًا أو محتملاً . . فهو فى كل الحالات صد للعدوان . . أما إذا جنح المخالفون إلى السلم، وانفتحت السبل أمام دعوة الإسلام ودعاته، وتحقق الأمن لدار الإسلام، فلا ضرورة للحرب عندئذ، ولا مجال لحديث عن القتال، باسم «الدنيا» كان ذلك الحديث أو باسم «الدين»! . .

وصدق الله العظيم عندما حدد فى كتابه الكريم أن الحرب والقتال إنما هى «للأعداء» الذين يقاتلوننا فى الدين، أو يخرجوننا من الديار، أو يظاهرون على هذا الإخراج . . وأن المودة والقسط واجبان علينا لمن لا يقترفون فى حقنا جرمًا من تلك الجرائم، حتى وإن خالفونا فى الدين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ١ ـ ٩].

* * *